# تضخم علامات الاستفهام والتشكك الاسرائيلي حول صحة المشروع الصهيوني

- ظواهر الانهيار والتفسخ داخل الكيان الغريب
- بذور فشل المشروع الصهيوني تزداد ، وتنمو تفاعلاتها المدمرة
- الخوف من المستقبل ، وما يخبئه المجهول للإسرائيليين

ظهرت في الآونة الاخيرة داخل الكيان الاسرائيلي مجموعة من الظواهر السلبية ، التي اخذت تبرز الى السطح ، وتشكل بمجموعها عوامل ذاتية تتراكم عناصرها تدريجيا ، لتشكل بذور تصدع قوية ونامية في احشاء الكيان الصهيوني ، اذا ما توفرت لها مجموعة من الظروف الموضوعية الضاغطة والمدمرة ، ازدادت حدة نمو هذه العوامل وتلك الظواهر لدرجة الغليان والتفجر واصبحت تهدد الكيان بالتفسخ والانهيار .

وابرز هذه الظروف الموضوعية هو اشتداد ضربات حركة المقاومة المسلحة في الارض المحتلة ، ونمو ظاهرة الكفاح المسلح وشموليتها ، بالاضافة الى وجود نظام عربي تقدمي فاكثر لاسناد ودعم الثورة الفلسطينية ، والاعداد معها لمعارك استنزاف مستمرة ضد الوجود الصهيوني ، مترافقة مع انتصارات سياسية ، وتحالفات دولية لحركة التحرر الفلسطينية المقاتلة ، ومدعمة بحملات دعائية قوية مضادة لاطروحات الاعلام الصهيوني في الارض المحتلة وفي بلدان اوروبا والامريكيين .

## □ عوامل تكون المجتمع الاسرائيلي الطارىء واصالة الشعب الفلسطيني

ان البنيات الاجتماعي الاسرائيلي الذي تشكل بالدرجة الاولى من موجات الهجرة اليهودية المتزايدة التي بدات منذ عهد « الرواد الاول » ، والذين استجلبته الحركة الصهيونية من مجتمعات مختلفة ، وذات جذور او حضارات متناقضة ، وغير منسجمة لانجاز مشروعها الاقتصادي في خلق اسواق جديدة لمنتوجات مصانعها ، ومواطن ربح لاستثمارتها ، هذا البنيان الذي يجمع انماطا من البشر المقطوعي الجذور والصلة تاريخيا بالارض الفلسطينية التي يقيمون عليها ، ولم تتشكل حضارة او نفسية ، او ثقافة وعادات موحدة لهم ، هي من جملة الاسباب لنشوء بذور التعارض ، فالتناقض في جسم الكيان الذي اعتمد على عملية الزرع الطبيعي على حساب اصحاب الارض الحقيقيين والذين شكلوا تاريخيا وبعد عشرات القرون وعبر وحدة اللغة ، والثقافة ، والعادات ، والحضارة الواحدة الشعب الفلسطيني ، والذي تجمعه كل مقومات الامة الواحدة ، المرتبطة بوطنها وتاريخها الواحد ، وهذه مسالة راسخة ، لا ينازع الشعب الفلسطيني فيها سواء النهج الافترائي الصهيوني الذي يعتمد على تزوير حقائق التاريخ وتحريفها ، او ليبيراليو الثقافة البورجوازية خدام الطبقات الرجعية في هذا الشان ، ونضالات الشعب الفلسطيني وتاريخه الكفاحي منذ الغزوة الصهيونية في بداية هذا القرن لدليل حي ملموس ، على حقيقة واصالة الشعب الفلسطيني وهويته الواحدة ، واصراره على تحرر ارضه وتحقيق استقلاله ومن هنا ، ولفقدان التجمع اليهودي في فلسطين لشروط ومقومات الامة والشعب الواحد ، ولكونهم مجمعين من ارض « الشتات » فلم تكن تجمعهم لغة واحدة قبل هجرتهم الى فلسطين ، او تاريخ واحد او بسكيولوجية واحدة ، وانما لعبت الحركة الصهيونية ، والوكاله اليهودية ضمن مخططها الاستعماري لتوفير مثل هذه العوامل : كتعليم اللغة العربية لليهود القادمين لفلسطين المحتلة ، وتشكيل مؤسسات ينخرط فيها اليهودي القادم وتسهم في تشكيل ثقافته ، وتحقق المعادلة الاسرائيلية المطلوبة وهي خلق صهيوني جديد في ارض فلسطين ليحقق حلم اليهود التاريخي في ايجاد « ارض الميعاد المزعومة ـ من « الفرات الى النيل » وبعد قدوم اليهود المهاجرين الى فلسطين ، ما هي الحقائق والعوامل التي تحكمت في تشكيل وعي ، ونفسية اليهودي الجديد ، في واقعه الجديد ؟

## ١ ـ سياسيا

انتظم القادمون وتوزعوا بين مجموعة الاحزاب القائمة ( التي لبعضها فروع ومكاتب في الخارج ) بلغت الآن ١٦ حزبا وتجمعا بعضها منطلقه ديني ، وتشكل هذه الاحزاب الدينية المتطرفة جبهة مع داخل الكنيست الاسرائيلي وتعرف بالحزب القومي ـ المقدال ، واحزاب اخرى صهيونية وتنادي بالاشتراكية على طريقتها الخاصة وفي « المابای » المتحالف مع « احدوت هاعفودا » دخلت مع بعضها في ائتلاف حكومي واحد هو الحاكم « المعراخ » وكلها تنادي بالتوسع والاحزاب اليمينية او ما يمكن ان يطلق عليها المحافظين » العدواني . والذي يضم حيروت ،



المنشق من حزب الاحرار والحزب التقدمي الصهيوني ، والصهيونيون العموميون ، والطابع العام الذي يحكم سياسة هذه الجبهة هو ايمانها بالارهاب ، والاساليب الفاشية » في حسم التناقض العربي ـ الاسرائيلي ، وتوسعيتها ، بالاضافة الى وجود مجموعة من الاحزاب الصغيرة الهامشية الثوراتية ، والمعارضة ذات النهج الليبرالي وغير المؤثرة عمليا في الحياة السياسية داخل اسرائيل ، هذا بالاضافة الى مجموعة من الاحزاب والتيارات اليسارية والتي تقسم رغم جزئيتها الى اربعة

ويمثل في مجموعات معارضة للوجود الاسرائيلي في الارض المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ويدعو الى نهج اسلوب سلمي في حل النزاع العربي الاسرائيلي والاعتراف المتبادل بحق تقرير المصير الاسرائيلي والفلسطيني ، وتضم حركة سياح في صفوفها مجموعة من اساتذة الجامعات والادباء ، كما تضم لجان السلام التي يقف على راسها بعض المثقفين والادباء ، وتمثل هذه الحركة مواقف ثابتة ودائمة حيث يختلف بعضها فيما بينهم حول اكثر من قضية . الا ان الخط العام الذي يوحدها هو دعوتها المثالية لحل القضية بالطرق السلمية .

التيار التقليدي ( راكاح ـ الحزب الشيوعي ) : مثل غيره من بعض الاحزاب الشيوعية التقليدية المنتشرة في العالم الثالث ، والتي تعيش هويتها النضالية في شعار التعايش ، والتحولات المطلبية ، والتظاهرات ضمن اطار التبعية الشيوعية في الخارج ، وضمن المسلكية والتاييد العام للحركة التحررية في العالم ، وقضية الكيان الصهيوني وموقفه منها ، فقد حدث خلال الدول العربية للاعتراف باسرائيل ، حيث اتخذ ذلك جناح « ماكي » كتلة « موشي سنيه » موقفا مؤيدا للحكومة الاسرائيلية وعدوانها في ١٩٦٧ الجناح الثاني هو « راكاح » وقد اعطى الحزب الشرعية الرسمية من قبل « العدو بعد ما عانى من تناقضات سياسية محلية او خارجية او حزبا جزؤه الصهيوني يؤيد بقاء اسرائيل وضرورة وجوده ، وجزؤه العربي لا يختلف كثيرا عن هذا الموقف الى اعتراف اسرائيل بالكيان الفلسطيني ، وحق الشعبين ، والكيانان بسلام ، وضمن علاقات طبيعية بين الشعبين .

اليهود السود . حركة صغيرة ، لم تبلور بعد نتيجة ، وتمر بمرحلة تغير في مفاهيمها ، اتجه هذه الحركة كرد فعل على الاضطهاد والتمييز العنصري ، الذي يمارس ضد اليهود السود ( السفارديم ) بالاضافة للغبن الذي يلحق بهم ، وقد عرضت حركة « ماتس بن » على اثر انضمام لها ، ويقف على راسها يهود من اصل مغربي بزعوج الولايات المتحدة ، هددت في حالة لجوء غير اسلحة التظاهرات الهادئة ، ولاقى هذه الحركة عداء ومحاربة من الاحزاب ضمن اسلوبها الليبرالي رغم وجود جريدة تتحدث باسمها وتحمله . ( ماتزين ) ، الجبهة الحمراء ) تنظيمات ( ماتس بن الامم والفروع المنشقة ) مجموعة الطليعة اللامباركية ، الاتحاد الشيوعي الجبهة الحمراء ) .

( ماتس بن الامم والفروع المنشقة ) جزئي بين المواطنين العرب في الارض المحتلة ، وتنطلق من تحليلها للصهيونية على الاسس الماركسية حيث ترفض فكرة الصهيونية ، وتعتبر الحركة اللاسامية كظاهرة اقتصادية واجتماعية ، وهي تعبير عن مرحلة معينة في تطور المجتمعات الراسمالية ولا بد من رفضها ومحاربتها ، وترفض « الماتس بن » الحل الصهيوني للقضية اليهودية باعتباره حلا عنصريا ، لانه يعتمد على كون اليهود شعبا واحدا ، يربط به الدين والقومية وهذا مفهوم رجعي صهيوني حيث تفصل الصهيونية نضال اليهودي عن مجتمعه ، وتسخره لخدمة القوى الرجعية العالمية ، ولا ترى « الماتس بن » امكانية قيام سلام في الشرق الاوسط بين العرب واسرائيل لان الصهيونية بحكم ايديولوجيتها تتناقى والحدود الآمنة .

ويوجد لهذه الحركة تحليل طبقي متقدم عن بقية حركات اليسار الاسرائيلي حيث تعتبر ان الصراع بين الفلسطينيين والصهيونيين والذي قاد الى تكوين دولة اسرائيل هو صراع لم يكن بين الحركة الصهيونية والاستعمار او بين الحركة الصهيونية والفلسطينيين بل ان الصراع منذ بدايته كان صراعا اقتصاديا بين البورجوازية اليهودية المستفيدة من ظروف الحرب العالمية الثانية ، وبين حركة الجماهير الفلسطينية ، وقيادتها البورجوازية والاقطاعية .

وترفض « الماتس بن » بشكل كامل امكانية التعاون مع اليسار الصهيوني ( المابام + الماباي ) لان هذا اليسار في نظرها انما هو المنفذ لسياسة البيروقراطية العمالية الصهيونية او للايديولوجية الصهيونية التي تقف « الماتس بن » ضدها ، كما تنتقد « الماتس بن » الحزب الشيوعي الاسرائيلي ( راكاح ) نتيجة تبعيته في اتخاذ القرارات للاتحاد السوفياتي .

كما تؤمن « الماتس بن » بان ازالة الكيان الصهيوني العنصري يكون بالنضال الداخلي للقوى المعادية لفكرة الصهيونية ، واشتداد الصراع الخارجي الذي سيقود ويعمق الصراع الداخلي الغير قادر الآن على ازالة مؤسسات الكيان الصهيوني .

اقتصاديا : « تبعية اقتصادية ، غلاء فاحش ، تمييز عنصري في الاجور » وجد اليهود القادمون الى ارض فلسطين انفسهم ، في ظل مجتمع يعيش على الهبات والقروض والتبعية الاقتصادية وتنهش كيانه الاقتصادي مجموعة من الثغرات المدمرة ، منها موجات الغلاء المستمرة ، حالات التضخم الاقتصادي التي تهب بين الفينة والاخرى ، تخفيض القيمة الشرائية للبرة الاسرائيلية عدة مرات الامر الذي ينجم عنه ارتفاع مضطرد في اسعار المواد الضرورية عدا عن الاستهلاكية ، زيادة الواردات عن الصادرات ودوام العجز في الميزان التجاري ، عدم توفر اسباب الاستقرار المادي والحياتي المستمرة ، اماكن السكن والشقق نادرة ومفقودة واصبحت ظاهرة مميزة داخل الكيان ، عدا عن البطالة الموجودة ـ قضية اخرى تندرج تحت عنوات التميز العنصري الاقتصادي والذي القى عليه الضوء جماعة الفهود السود ، وهي التمييز بين الاجور المدفوعة لليهود الشرقيين والتي تبلغ ١/٤ الاجور المدفوعة لليهود الغربيين الامر الذي يزيد من حدة التناقضات ومضاعفاتها بين اليهود الشرقيين ، واليهود الغربيين الذين يتمتعون بامتيازات اجرية ووظيفية متميزة وافضل بكثير وبشكل واضح عن اليهود الشرقيين ، وهذه الفوارق الاقتصادية القائمة تعكس نفسها على نفسية التجمعات السكانية الشرقية والغربية ، وعلى نهجها في التعامل مع معادلة الكيان الصهيوني ، عبر احزابها وتجمعاتها السياسية .

اجتماعيا : هذا التوزع والتناقض في الولاءات السياسية ( يمينها ، ويسارها ، ووسطها ) ، وتلك الفروق والتمايزات الاقتصادية بين تجمعات يهود الكيان الشرقيين والغربيين اضافة الى التركيب المجتمعي المتنافر في مستويات التطور الثقافي ، والاجتماعي خلق خليطا من التجمع السكاني العجيب ، والكوكتيل الجنسي الذي تقوم اسرائيل على اساسه ، والذي جاء ليمهد لنشوء مجموعة من التناقضات المتراكمة التي تنهش جسم هذا الكيان ، وتهدده من داخله .

فلقد انتشرت ظاهرة الفساد الحكومي ، والرشوة ، والنصب والاحتيال حتى وصلت الى ارفع المستويات في معظم الوزارات ، وخاصة في كل من وزارتي الدفاع والخارجية وشملت ضباطا كبار ، ومساعدي وزراء ، وجنودا ، بالعشرات يقفون اليوم امام المحاكم ، وفي المعتقلات .

كما انتشرت ظاهرة الانحلال الخلقي ، وهذه ظاهرة عادية ومعروفة تستشري حدتها يوما بعد يوم ، وفي راي بعض علماء الاجتماع الاسرائيليين انها ستكون من عوامل التفسخ المدمر « لدولة اسرائيل » ـ رافق انتشار هذه الظاهرة ، وجود عصابات القوادين ، والقتلة وقطاع الطرق والقبضايات وعصابات الرقيق الابيض ، والتي تعبر عن نفسها الآن داخل الكيان بفرض الخوات ، وحوادث اطلاق الرصاص ، وتصفيات الحساب المستمرة مستخدمة في ذلك القنابل والقتل بالسكاكين ان هذه الممارسات التي جعلت الاسرائيلي يخشى على حياته من التجول خارج بيته كثيرا ، بالاضافة الى العوامل الامنية الاخرى المضادة . مضافا الى ذلك ، الآثار النفسية التي تتركها مسالة التمييز العنصري ، الوظيفي ، والاجتماعي الذي تعاني منه طوائف اليهود الشرقيين ، حيث يمثلون الفئة الدنيا في السلم الاجتماعي ، ويعاملون معاملة مهينة ، وحقيرة تزيد في احقادهم ضد اليهود الغربيين او ضد الحكومة .

هذا المناخ الاجتماعي الذي يسيطر على الخارطة الطبقية ، والفئوية الاسرائيلية يعتبر تربة خصبة لنمو التناقضات ، والانفجارات الاجتماعية ، والحركات المعارضة والمتطرفة .

امنيا : منذ الايام الاولى لولادة الكيان الصهيوني ومواطنوه يعيشون جوا خانقا ، وضاغطا على اعصابهم حيث لا امن ، ولا سلام في ظل هذا المجتمع الحربي ، الذي شهد في ايامه الاولى مقاومات الشعب الفلسطيني وثواره ، ثم حرب عام ١٩٤٨ ، فالصدامات الحدودية بين اسرائيل ، ومصر ، الى ان انشات السلطات المصرية قوات الفدائيين الفلسطينيين في قطاع غزة ايام الشهيد مصطفى حافظ والتي ادت تلك المجموعات دورا نضاليا متقدما حيث اشاعت الرعب والهلع في صفوف الاسرائيليين ، حتى وصل الامر ان الاسرائيلي ( جنديا كان ام مدنيا ) اذا ما ذكر امامه اسم فدائي ، حتى لو كان ابريق من الفخار اصيب بالذعر الحقيقي ، والخوف ـ ثم جاءت حرب السويس ، واستمر هذا الحال من التوتر المشدود والعيش ضمن قوانين الحكم العسكري ، والاستنفار الدائم ، والطوارىء ، وشد الاحزمة على البطون لتوفير المتطلبات العسكرية حتى جاءت حرب حزيران ١٩٦٧ ، وتبعتها حرب الاستنزاف المصرية ايام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وما تركته من اثار سلبية ، على صعيد عسكري ، وضحايا ، وعلى صعيد اقتصادي ، ونفسي لدى المواطن الاسرائيلي .

وجاء دور المقاومة ثم جاء دور المقاومة الفلسطينية المسلحة بعد غزة حزيران ١٩٦٧ ، والتي جاءت ردا موضوعيا على هزيمة الانظمة العربية ، وهزيمة برامجها وسياساتها ، وبدات تمارس دورها الكفاحي في ترجمة شعار الكفاح المسلح في طول وعرض الارض المحتلة وضد المؤسسات الاسرائيلية ، وطائراتها ورموزها في الخارج ، ولعبت المقاومة الفلسطينية المسلحة الدور الكبير في زعزعة الامن الاسرائيلي ، وفي تخريب معنويات الاسرائيليين ، وخلق حالة من عدم الاستقرار الحياتي لهم حيث كانت ظاهرة تعدد العمليات المختلفة ، والمدمرة هي العنوان اليومي ضد تجمعات العدو بمساكنه ، ومراكز الجيش ، وفي المدارس ، والفنادق ومحطات الباصات وفي كل مرافق الحياة في فلسطين المحتلة الامر الذي ادى الى سقوط اكثر من حكومة ، وارتفاع اسهم احزاب اليمين والصقور المتطرفين على حساب « الحمائميين » في بعض المراحل ، وزيادة الهجرة المضادة ، والنزوح مع اسرائيل للخارج ، حيث اصبح هذا المواطن الذي عانى من ثلاثة حروب كبيرة ، ومقاومة فلسطينية مستمرة تهدد امنه واستقراره ، ومصالحه الاقتصادية ومستقبله اصبح نهبا لمشاعر